

فضائل الحج المبرور ومنافعه وثوابه العظيم

عباد الله: الحمد لله الذي زكى النفوس وطهرها بالفرائض والواجبات، وحفظها من الحثب والخبائث بتحريم المحرمات، وترك السيئات، وأمد القلوب بحياة الإيمان بما أنزل من الآيات البينات، وبما سنَّ رسولنا صلى الله عليه وسلم من الهدى وأبلغ الكلمات، أحمدك ربي وأشكرك على نعمك التي لا تحصى إلا أنت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربُّ الأرض والسموات، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الذي وفق كلِّ مقام حقه من العبادات، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك، وعلى آله وصحبه المسارعين إلى الخيرات، أما بعد: فاتقوا الله عباد الله بالقيام بما فرض الله عز وجل من أمره، والبعد عما حذر الله من نهيهِ؛ فتقوى الله تبارك وتعالى خير زاد ليوم المعاد، وخير ما يصلح أمور العباد، قال الله تعالى: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا [الطلاق] أيها المسلمون: اعلّموا أن الله تبارك وتعالى فرض علينا الحج على المستطيع منّا فهو فرض بالإجماع على المسلم إذا كان حُرًّا بالغًا عاقلًا مستطيعًا، فإن كنت يا أخي المسلم قادرًا على نفقة الحج بما يوصلك ويؤدك إلى وطنك زيادة عن دينك وعن ما تحتاجه لمسكنك وكنوتك اللاتيين بك ومؤنّة زوجتك وأولادك الصغار وغيرهم ممن عليك نفقتهم من مسكن وكسوة وطعام مدّة ذهابك إلى الحج ورجوعك منه فإنك مستطيع يجب عليك الحج، وأما غير المستطيع فلا يجب عليه الحج ولكن لو حجَّ صحَّ حجه، فحج بيت الله الحرام كُتب على المسلم البالغ المكلف في العمر مرة واحدة، وما زاد على ذلك فهو تطوع، فمن كتب الله له الحج، ووفقه لأدائه فرضًا كان أو تطوعًا، وقام بأعماله كاملة؛ فقد منّ الله عليه بالنعمة العظيمة، والمنزلة الرفيعة، والمغفرة الواسعة، والأجر المتسوّعة، لأن الحج من أعظم أسباب تكفير الخطايا والسيئات، فإذا حج العبد الحج المبرور فإنه يرجع من حجه كيوم ولدته أمه طاهرًا من الذنوب والخطايا؛ ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه [رواه البخاري] وظاهر الحديث غفران صغير الذنوب وكبيرها، كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله، إلا أن ذلك الغفران مشروط كما نص الحديث بعدم الرفث والفسق؛ والرّفث هو الجماع ومقدماته، والفسق السيئة والمعصية، عباد الله: وعدّ الله تعالى عباده بأن يثيبهم على طاعته، وجعل جزاء الحج المبرور الجنة، وقد يتوهم الإنسان بأنه إذا انفق ماله في الحج والعمرة، فقد يؤدي ذلك إلى نقص ماله، وتعرضه للحاجة والفاقة؛ فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يزيل هذا الوهم والخوف، فبيّن أن إنفاق المال في الحج والعمرة والمتابعة بينهما جلب للرزق، ونفي للفقر عن العبد بإذن الله؛ وقد صح في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تابعوا بين الحج والعمرة فإنها ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة [رواه أحمد وغيره] وورد في الحديث الذي رواه أحمد بإسناد حسن أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعائة ضعف، وأخرج البزار وابن حبان واللفظ له من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت جالسًا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى، أي مسجد الخف فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسما ثم قال: يا رسول الله، جئنا نسألك فقال الرسول: إن شئنا أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت، وإن شئنا أن أمسك وتسألاني فعلت، فقالا: أخبرنا يا رسول الله، فقال الثَّقَفِيُّ للأَنْصَارِيِّ: سل، فقال الأنصاري: أخبرنا يا رسول الله، فقال: جئتي تسألني عن معزجك من بيتك تؤمُّ البيت الحرام، وما لك فيه، وعن ركهيتك بعد الطواف وما لك فيها، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه، وعن وقوفك عشيّة عرفة وما لك فيه، وعن رميك الحجار وما لك فيه، وعن تحرك وما لك فيه، مع الإفاضة، فقال: والذي بعثك بالحق، لئن هذا جئت أسألك، قال: فإنك إذا خرجت من بيتك تؤمُّ البيت الحرام، لا تضع ناقتك حُفًّا، ولا ترفعهُ، إلا كتبت (الله) لك به حسنة، ومحا عنك خطيئة، وأمّا ركهيتك بعد الطواف؛ كعنت رقبته من بني إسماعيل، وأمّا طوافك بالصفا والمروة؛ كعنت سبعين رقبته، وأمّا وقوفك عشيّة عرفة؛ فإن الله ينزل إلى ساء الدنيا نزولاً يليق بجلاله فيباهي بك الملائكة، ويقول: عبادي جاؤوني شعنتا غيراً من كلِّ فحج عميق يرجون رحمتي، ويخافون عذابي ولم يروني، فكيف لو رأوني؟ فلو كانت ذنوبك كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر، لغفرتّها، أفبضوا عبادي مغفوراً لكم، ولئن شفعتم له، وأمّا رميتك الحجار؛ فلك بكلِّ حصة رميتها تكفير كبيرة من الموقبات، وأمّا تحرك؛ فمدخور لك عند ربك، وأمّا جلافتك رأسك؛ فلك بكلِّ شعرة حلفتها حسنة، وثمحي عنك بها خطيئة، وأمّا طوافك بالبيت بعد ذلك؛ فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي ملكٌ حتى يصع يديه بين كفيك، فيقول: اعمل فيما تستقبل؛ فقد عُفِّرَ لك ما مضى [1] وروى ابن عبد البر أيضاً، بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات، وكادت الشمس أن تؤوب، فقال: يا بلال! أنصت لي الناس، فقام بلال، فقال: أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فنصت الناس، فقال: معاشر الناس، أتاني جبريل أنفاً، فأقرأني من ربي السلام، وقال: إن الله غفر لأهل عرفات وأهل المشعر، وضمن عنهم التبعات، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، هذا لنا خاص، فقال: هذا لكم، ولن يأتي بعدكم إلى يوم القيامة، فقال عمر رضي الله عنه: كثر والله خير الله وطاب، [أخرجه المنذري] في الترغيب والترهيب، عباد الله: الله تبارك وتعالى جعل قصد البيت للحج مكفراً لما سلف من الذنوب، ماحياً للأوزار والعيوب، حاطاً للخطايا، فبالحج المبرور يخرج الحج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، عباد الله: فأني كرامة بعد هذه الكرامة التي أعدّها الله لزوار بيته، وحجاج حرمه ووفده، يغسل ذنوبهم، ويطهر نفوسهم، ويبارك لهم في أعمالهم، ويخلف عليهم ما أنفقوا، ويستجيب دعاءهم، وينظر إليهم ويباهي بهم الملائكة، ويجزيهم بما عملوا جنات تجري من تحتها الأنهار، ويكفهم شر النيران، وفي رواية عند البزار وابن حبان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما ترفع إبل الحاج رجلاً، ولا تضع يداً، إلا كتب الله تعالى له بها حسنة، أو محاعنه سيئة، أو رفعه بها درجة (صحيح الجامع) فعلى قدر الخطوات تُكتب الحسنات، وثمرتي السيئات والزلات،

وُثِرَ فِي الدَّرَجَاتِ ، وَحَقٌّ لِمَن تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْحَجِّ أَنْ يَفْرَحَ بِهِ أَشَدَّ الْفَرَحِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ قَبِدَلِكِ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ،
فَاللَّهُمَّ ارزُقْنَا زِيَارَةَ بَيْتِكَ الْحَرَامِ....، اللَّهُمَّ ارزُقْنَا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وَأَجْعَلْهُ مُكَفِّرًا لِدُنُوبِنَا.

خطبة الجمعة ليوم 16 ماي 2025 م